أطفالنا
فى رحاب
القرآن
الكريم

٨١

آيات و قصة

وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ

رزق هيبة



أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

آيات وقصة

(٨١)

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ

تأليف

رزق هيبه

رسوم

صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر

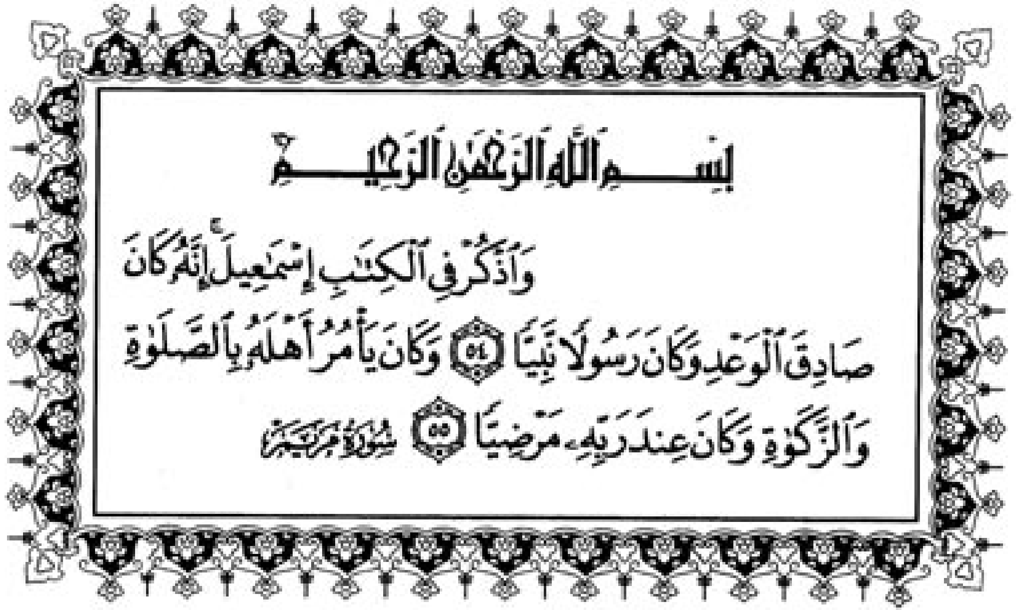
دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com



صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ

معانى الكلمات:

١- **الكتَابُ**: القُرآنُ الكَرِيمُ، ذَكِّرْ بِهِ النَّاسَ عَنِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ . . وَمِنهمْ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ.

٢- **رَسُولا نبيًّا**: الرَّسُولُ هُوَ إنسَانٌ أَوحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بـأمر، وأَمَرَهُ أَنْ يُبلِّغَهُ إِلَى النَّاسِ، وَالنَّبِىُّ إِنْسَانٌ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ولَمْ يُؤْمَـرْ بِالتَّبْلِيغِ، فكُلُّ رَسُولٍ نَبِىٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِىٍّ رَسُولا .

٣- **أَهْلَهُ**: يَعْنِى أُمَّتَهُ، الَّتِى هِىَ قَبِيلَةُ جُرْهُمٍ .

٤- **مَرْضِيًّا**: أَىْ زَاكِيًا صَالِحًا مَرْضِيًّا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ.

فِى يَوْمِ عِيدِ الأَضْـحَى بَكَّرَتِ الأُسْرَةُ كُلُّهَا إِلَى السَّاحَةِ الْفَسِـيحَةِ فِى الحَيِّ لِصَلاةِ الْعِيدِ، بِمَا فِيهِمْ أُمُّ أَيْمَنَ وَابْـنَتُهَا إِيمَانُ، امْتِثَالا بِأَمْرِ النَّبِىِّ ﷺ، إِذْ كَانَ يَأْمُرُ النِّسَـاءَ بِحضُورِ صَلاةِ العِيدِ حَتَّى وَلَوْ كَـانَ عِنْدَ إِحْدَاهُنَّ عُذْرٌ يَمنَعُهَا مِنَ الصَّلاةِ فَلْتَحْضُرْ وَتَجْلِسْ فِى جَانِبٍ بِجَوارِ الْمُصَلِّينَ.



وَقضَت الأُسْرَةُ يوْمَ الْعِيدِ فِى تزَاوُرِ، وتَعَاطُفٍ مَعَ الجِيْرانِ والأَحِبَّةِ، وفِى المساءِ اجْتَمعَ شَمْلُ الأُسْرَةِ، فِى جَلْسَتِهِمُ الإِيمَانِيَّةِ، وقَدْ وَجَدَ أَيمَنُ منَ المَنَاسبَةِ، أَنْ يطلُبَ مِنَ الْوَالِدِ، أَنْ يُعِيدَ علَى أَسْمَاعِهِمْ قِصَّةَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، الَّتِى ورَدَتْ أَطْرَافٌ مِنْهَا فِى جَلَسَاتٍ سَابِقَةٍ.

قَالَ الْوَالِدُ: إِنَّهَا مُنَاسَبَةٌ طَيِّبَةٌ، وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذى يَنْبَغِى أَنْ نَتَذَكَّرَ فيهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ونَتدَارَسَ حَيَاتَهُ، لِتكُونَ عِبْرَةً وَعِظَةً لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمعَ، وَهُوَ شَهِيدٌ.

ولَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِى آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ القُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَحَسبَ تَرتِيبِ جلساتِنَا نَقْرأُ تِلْكَ الآيَاتِ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ.





وَبَدأَ الْوَالِدُ يَتْلُو: أَعُـوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّـيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** ﴿٥٤﴾ **وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** ﴿٥٥﴾﴾ [**مريم**] صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ.

وَبَدأَ الْوَالِدُ الحدِيثَ بَعْدَ تِلاوةِ الآيَةِ، فَقَالَ: الآيَاتُ الَّتِى تَلَوْنَاهَا تَصِفُ إِسْمَاعِـيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِأَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ، وَقَـالَ المفَسِّرونَ فِى ذَلِكَ، أَنَّهُ وَعَدَ رَجُـلا أَنْ يَلْقَاهُ فِى مكَانٍ مُـعَيَّنٍ، فَـجَاءَ إِسْمَاعِيلُ وَانْتَظَرَ الرَّجُلَ يَومَـهُ وَلَيْلَتَهُ، وَلَمْ يَحْضرِ الرَّجُلُ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِى جَاءَ الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: مَا زِلْتُ فِى انْتظَارِكَ هَاهُنَا مُنذُ أَمْسِ.

ثُمَّ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ قَوْمَهُ بِالصَّلاةِ لأَنَّهَا صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ وَبِالزَّكَاةِ لأَنَّهَا تَطْهِيرٌ لِمَالِ الإِنْسَانِ، تَزِيدُهُ نَمَاءً وبَرَكَةً، وَتُطَهِّرُ صَاحِبَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَهَكَذَا كَانَ الأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا يَأْمُرُونَ أَقْوَامَهُمْ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ . . لِيَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

قَالَتْ إِيمَانُ: إِنَّ صِدْقَ الوَعْدِ، وَالأَمْرَ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ الَّتِى يَجِبُ عَلَيهِمُ الْقِيَامُ بِهَا، فلمَاذَا يَخْتَصُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِسْمَاعِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ، بِذِكْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ وكَأَنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِى كَانَ يَتَشَرَّفُ بِهَا.

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: إِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ هِىَ صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، وَاخْتَصَّ اللَّهُ إِسْمَاعِيلَ بِذِكْرِهَا لأَنَّهُ زَادَ عَلَى ذَلِكَ بالاسْتِعْدَادِ لِلتَّضْحِيَةِ بِنَفْسِهِ عِنْدَمَا أَبلَغَهُ أَبُوهُ الخَلِيلُ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِأَنَّ اللَّهَ أَوْحى إِلَيْهِ أَنْ يَذْبَحَهُ، فَقَالَ: ﴿ **... يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾** ﴾ [**الصافات**]. فَكَانَ فِى رِضَاهُ بِالذَّبْحِ وَالوَعْدِ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ مَكْرُمَةٌ عُظْمَى مِن اللَّهِ تَعَالَى تَسْتَحِقُّ ذَلِكَ الثَّنَاءَ الْعَظِيمَ.

وَاسْتَطرَدَ أَبُو أَيمَنَ يَقُولُ: وَلْنَبْدَأْ، يَا أَبْنَائِى، فِى ذِكْرِ قِصَّةِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُولَدَ، لِنتعرَّفَ أَوَّلا عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ، اللَّذَيْنِ هُمَا الأَصْلُ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ البَاسِقَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِى شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَ أَحَدَ فُرُوعِهَا نَبِيَّنَا مُحمداً ﷺ، خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ.

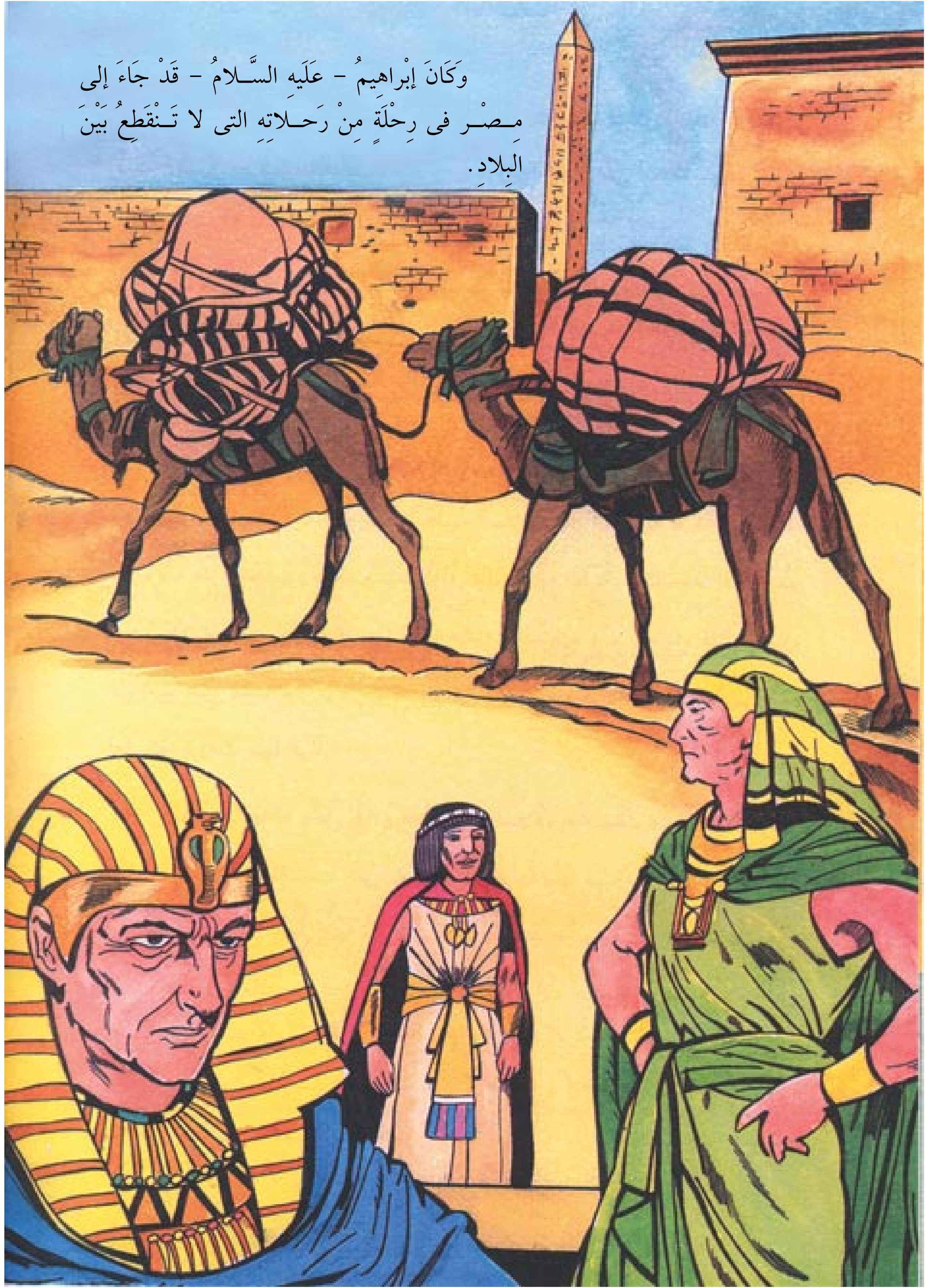
أَمَّا أَبُوهُ فَهُوَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَبُو الأَنْبِيَاءِ، وَكَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى مِصْرَ فِى رِحْلَةٍ مِنْ رِحْلاتِهِ الَّتِى كَانَتْ لا تَنْقَطِعُ بَيْنَ البِلادِ، وَكَانَتْ مَعَهُ زَوْجَتُهُ سَارَةُ، فَحَدَثَتْ مِنْ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْضُ الكَرَامَاتِ، إِذْ كَانَ

مَلِكُ مِصْرَ، يَنْوِى بِهِ وَبِزَوْجَـتِهِ سَارَةَ شَرًّا، فَأَنْقَذَهُمَا اللَّهُ مِـنْ ذَلِكَ الشَّرِّ، فَعَرَفَ المَلِكُ أَنَّهُمَا صَالِحَانِ، وَلَنْ يَقدِرَ عَلَى أَنْ يَمَسَّهمَا بِسُـوءٍ، فَأَكرَمَهُمَا، وَأَهْدَاهُمَا السَّيِّدَةَ هَاجَرَ، لِتَكُونَ جَارِيَةً لِسَارَةَ.

أَمَّا هَاجَرُ فَكَانَتْ أَمِيرةً بِنْتَ وَاحِدٍ مِنْ مُـلُوكِ مِصْرَ، وَقَدْ حَدَثَتْ حَرْبٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ، فَـهَزَمَـهُ عَدُوُّهُ، وَاغْتَـصَبَ المُلْكَ مِنْهُ، وَسَبَى هَاجَـرَ، فَصَـارَتْ إِحْدَى جَوَارِى قَصْرِهِ، ثُمَّ أَهْدَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَارَةَ.

وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَزَوْجُهُ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَمَـعَهُمَا هَاجَرُ المَصْرِيَّةُ، وَهُنَا يَقُولُ أَهْلُ الكِتَابِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ سَـأَلَ اللَّهَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، وَأَنَّ اللَّهَ بَشَّرَهُ بِأَنَّهُ قَد اسْتَـجَابَ دُعَاءَهُ، وَسَـتَكُونُ لَهُ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ الطَّيِّبَـةُ، وَكَانَ هَذَا الأَمْرُ يَبْـدُو عَجِيـبًا لأَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ قَدْ عَاشَـا مَعًا عَشَرَاتِ السِّنِينَ، وَلَمْ يُنْجِبَا، فَـقَالَتْ سَارَةُ لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّ الرَّبَّ قَدْ حَرَمَنِى مِنَ الوَلَدِ، فَادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِى هَذِهِ لَعَلَّ اللَّهَ يَرزُقُكَ مِنْهَا الوَلَدَ.

فَلَمَّـا وَهَبَتْـهَا لَهُ دَخَلَ بِهَـا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّـلامُ، فَحـمَلَتْ مِنْهُ، فَلَما حَـمَلَتِ ارْتَفَعَتْ نَفْسُهَا وَتعَاظَمَتْ عَلَى سَيِّدَتِهَا، فَغَارَتْ مِنْهَا سَارَةُ، فَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهَا: افْـعَلِى بِهَا مَا شِئْتِ، فَخَافَتْ هَاجَـرُ وَهَرَبَتْ، فَنَزَلَتْ عِنْدَ عَيْنٍ هُنَاكَ، فَقَالَ لَهَا مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: لا تَخَافِى، فَإِنَّ اللَّهَ جَـاعِلٌ مِنْ هَذَا الغُلامِ الَّذِى حَمَلْتِ خَيْرًا، وَأَمَرَهَا بِالرُّجُوعِ، وَبَشَّرَهَا أَنَّهَا سَتَلِدُ ابْنًا وَتُسَـمِّيهِ إِسْمَاعِيلَ، وَيَكُونُ وَحْشَ النَّاسِ، يَدُهُ عَلَى الكُلِّ، وَيَدُ الكُلِّ بِهِ، وَيَـمْلِكُ جَمِـيعَ بِلادِ إِخْوَتِهِ. فَـشَكَرَتِ اللَّهَ عَـزَّ وَجَلَّ عَلَى ذَلِكَ.


وَكَانَ إِبْراهِيمُ – عَلَيهِ السَّلامُ – قَدْ جَاءَ إلى
مِصْر فى رِحْلَةٍ مِنْ رَحلاتِهِ التى لا تَنْقَطِعُ بَيْنَ
البِلادِ.

وَلَمَّا رَجعَتْ هَـاجَرُ مِنْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الَّتِى ذَكَـرهَا أَهْلُ الكِتَابِ وَضَـعَتْ إِسْمَـاعِيلَ عَلَيْهِ السَّـلامُ . . وكَانَ لإِبْرَاهِيمَ مِنَ الْعُـمرِ، سِتٌّ وَثمَـانُونَ سَنَةً، وَلَمَّا وُلِدَ إِسْمَـاعِيلُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يُبشِّـرُهُ بِإِسْحَاقَ نبيا مِنَ الصَّـالِحِينَ، وَكَانَ مِيلادُ إِسْـحَاقَ، بَعْدَ مِيلادِ إِسْمَاعِيلَ بِثَلاثِ سِنِينَ.

وُلِدَ إِسْمَاعِـيلُ، وَبَدَأَتِ المَتَاعِبُ لَهُ وَلأُمِّهِ هَاجَرَ، إِذْ يَقُولُ المُفَسِّـرُونَ أَنَّ سَارَةَ قَدِ اشْتَـدَّتْ غَيْرَتُها بَـعْدَ أَنْ وَلدَتْ هَاجَرُ إِسْمَـاعِيلَ، فَطلبَتْ مِنْ إِبرَاهِيمَ عَلَيْـهِ السَّلامُ أَنْ يُغَيِّبَ وَجْهَهَا عَنْهَا، فَذهَبَ بِهَا وبولَدِهَا، فَسَارَ بِهِمَا حَتَّى وَضَعَهُمَا حَيْثُ مَكَّةَ اليَوْمَ.

لَقَدْ كَانتْ هَذِهِ الرِّحْلَةُ مِنْ فِلسْطِينَ إِلَى ذَلِكَ المَكَانِ القَـفْرِ الجدْبِ بِأَمْرٍ وَوحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَامْـتَثَلَ سَيِّـدُنَا إِبْرَاهِيمُ لأَمْرِ رَبِّهِ، وَفِى المَكَانِ المحدَّدِ، فِى تِلكَ الصَّـحْرَاءِ الَّتِى تُؤكِّدُ المَوْتَ لِلمقِيمِ فِيهَا، وَضَعَ إِبْرَاهِيمُ هَاجَرَ، وَوَضعَ وَلدَهُ هُنَاكَ، وَعَادَ.

عَادَ وَهُوَ لَمْ يَتْرُكْ مَعَهُمَا شَيْئًا إِلا جِرَابًا صَغِيرًا فِيهِ قَلِيلٌ مِنَ التَّمْرِ، وَوِعَاءً صَغِيرًا فِيـهِ قَلِيلٌ مِنَ المَاءِ . . وَغَيْرُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلا الخَـلاءُ وَالرِّمَالُ، وَالرِّيحُ السَّافِـيَةُ، وَالوَحْشَةُ، وَالسُّكُونُ.

وَقَبْلَ أَنْ يَمْـضِىَ إِبْرَاهِيمُ سَائِرًا، وَلَمْ يَكَدْ يُدِيرُ لَهُمَـا ظَهْرَهُ، سَمِعَ أُمَّ إِسْمَـاعِيلَ تُنَادِيهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْـنَ تَذْهَبُ وَتَترُكُنَـا بِهَذَا الوَادِى الَّذِى لَيْـسَ فِيـهِ إِنْسٌ، وَلا شَىْءٌ يُؤْنِسُ سَاكِنِيهِ؟.

نَادَتْهُ مِرارًا، وَسَأَلَتْهُ مِرَارًا، وَهُوَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْـهَا، وَلا يَجِدُ مَا يَقُولُهُ لَهَا، إِلَى أَنْ قَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أمركَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَنْ، لا يُضيِّعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ.

وسَارَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَـانَ عِندَ الثَّنِيَّةِ، وَهِيَ الطَّرِيقُ العَالِى فِى الجبَلِ، اسْـتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَـيْتَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا اللَّهَ قَائلا: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [**إبراهيم**].

قَالَ أَشْـرَفُ: وَهَلْ كَانَ الْبَيْـتُ الحرَامُ مَوْجُـودًا فِى ذَلِكَ الوَقْتِ، مَعَ أَنَّنَا قُلْنَا فِى جَلَسات سَابِقَةٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ هُمَا اللَّذَانِ قَامَا بِبِنَائِهِ؟.

قَالَ أَبُو أَيمَنَ: المشْهُورُ أَنَّ البَيْتَ الحرَامَ بَنَتْـهُ الملائِكَةُ لآدَمَ لِكَىْ يتعبَّدَ فِيهِ، وَلِذَلِكَ يَقُـولُ اللَّه تَعَـالَى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴿٩٦﴾ ﴾ [**آل عمران**]، ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الطُّوفَانُ فِى زَمَنِ نُوحٍ عَلَيْـهِ السَّلامُ، وَأَغْرَقَ كُلَّ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ، تَهدَّمَتِ الْكَعْبَةُ، وَضَاعَتْ مَعَالمِهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا القَوَاعِدُ المخْتَفِيَةُ فِى الأَرْضِ إِلَى أَنْ أَذِنَ اللَّهُ بِإِقَامَـتِهَا وَرفْعِـهَا بِيَدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـاعِيلَ عَلَيهِمَـا السَّلامُ، وَلِذلِكَ دَعَا إِبرَاهِيمُ بِهَذَا الدُّعَاءِ. وَرُبَّمَا يَكُونُ اللَّهُ أَوْحَى إِلَيْـهِ بِأَنَّ هَذَا المكَانَ فِيهِ قَوَاعِدُ البَيْتِ الحرَامِ.

وَاسْـتَطرَدَ أَبُو أَيْمَنَ يَقُـولُ: وَافْتَـرقَ الْوَالِدَانِ، وَالوَلَدُ لا يَزَالُ طِفْـلاً رَضِـيعًـا، وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُـهُ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الماءِ القَلِيلِ الَّذى كَانَ فِى السِّقَاءِ، حَتَّى إِذْا نَفِدَ مَـا فِى السِّقَاءِ، وَلَمْ يَعُـدْ مَعَهَا مَـاءٌ، وَلا حَوْلَهَا مَـاءٌ، عَطشَتْ وعَطِشَ ابنُهَا، وجَعَلَتْ تَنظُرُ إِلَـيْهِ يتلَوَّى، فَابتَـعَدَتْ عَنْهُ لِئَلا تَنظُرَ إِلَـيْهِ وَهُوَ يَتعَـذَّبُ وَيتلَوَّى، وربَّمَا يَمُوتُ، فَكَرِهَتْ أَنْ تَـرَاهُ يَمُوتُ بَيْنَ يَدَيْهَا وَهِيَ لا تَملِـكُ لَهُ شَيْئًـا، فَوجَدَتِ الصَّـفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِى الأَرْضِ يَلِيـهَا، فَقَامَتْ عَلَيهِ ثُمَّ اتَّجَـهَتْ إِلَى الوَادِى، وَالأَرْضِ المنْبسِطَةَ أَمَامَهَـا لَعلَّهَا تَرَى شَيْئًـا، وَلَكِنْ لا أَحَدَ.. فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَـا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِى

رَفعَتْ طَرَفَ ثَوْبِهَـا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْىَ الإِنْسَانِ المجـهُودِ حَتَّى أَتَتْ جبلَ المرْوَةِ، فَـقَامَتْ عَلَيْهِ وَنظَرَتْ هَلْ تَـرَى أَحدًا، فَلَمْ تَرَ أَحدًا، فَـعلتْ ذَلِكَ سَبْعَ مرَّاتٍ، وكَـانَتْ إِحْدَى التَّجَارِبِ الـمَرِّيرَةِ الَّتِى يمكِنُ أَنْ يلقَاهَا إِنْسَانٌ فِى حيَاتِهِ ولا يُطِيقُ عَلَيْهَا صَبْرًا.

قَالَتْ إِيمَانُ: ولَعلَّ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِى أَنَّ مَنْ يَحُجُّ أَوْ يَعْـتمِرُ لابُدَّ أَنْ يَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمرْوَةِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ.

قَالَ أَبُو أَيمَنَ: هَـذَا صَحِيحٌ، لَقَـدْ فَرَضَ اللَّهُ ذَلِكَ السَّـعْى لِيكُونَ تَعْظِيمًـا لِتلكَ التَّجرِبَةِ وَإِجْلالاً لَهَا، وتَخْلِيدًا لِرمُوزِهَا، وَتكرِيمًا لأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، لِكَىْ يَتَذَكَّرَ النَّاسُ تلكَ المحنَةَ الَّتِى عَاشَتْهَا فَيَسْعَـوْا سَعْيَهَا؛ وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴿١٥٨﴾﴾ [**البقرة**] كَمَا قَـالَ النَّبِى ﷺ، فِيمَا يَرْوِيهِ البُـخَارِىُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ- مُشِـيرًا إِلَى الصَّفَا وَالمرْوَةِ؛ وَسَعَى هَاجَرَ بَيْنَهُـمَا «فَذَلِكَ سَعْىُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا».

إِنَّ اللَّهَ سُبـحَانَهُ وَتعالَى يكْتُبُ لِهَذِهِ الـتَّجْرِبَةِ الخُلودَ، بِأَنْ تَظَلَّ ذِكرَاهَا قَـائِمَةً فِى أَذْهَانِ المسْلِمينَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَتَابَعَ أَبُو أَيمَنَ الحدِيثَ، قَالَ: لَمَّا وَصَلَتِ السَّيدَةُ هَاجَرُ إِلَى المرْوَةَ فِى المرَّةِ السَّابعَةِ سَمِـعَتْ صَوْتًا، فَأَنصَـتَتْ إِلَى الصَّوتِ جَيِّـدًا، وَقَالَتْ لِنَفْسِهَـا: صَهٍ . . وكَأَنَّهَـا تَأْمُرُ نَفْـسَهَـا بِالسُّكُوتِ وَالهـدُوءِ وَالإِصْغَـاءِ حَـتَّى تَتَبـيَّنَ مكَانَ الصَّـوْتِ، ثُمَّ تَسـمَّـعَتْ فَسمِـعَتِ الصَّـوتَ، فَقَالَتْ: قَـدْ أَسْمَعتَ إِنْ كَـانَ عِنـدَكَ غُـوَاثٌ، فَإِذَا هِىَ بِملَكٍ

- قَالُوا أَنَّهُ جِبرِيلُ عَلَيهِ السَّـلامُ - يُرفْرِفُ عَلَى المَكَانَ بِجَنَاحه، وَقِيلَ: بِعقبِ رِجْله، حَتَّى نَبَعَتْ عَـيْنُ مَاءٍ عَذْبٍ، فَرَاحَتْ هَـاجَرُ تَحوِّضُ المَاءَ بِـيَدِهَا، وَتَغْرفُ مِنْهُ فِى سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْـدَمَا تَغْـرِفُ، وَهِىَ تَقُـولُ: زِمْ زِمْ، أَىْ تَجمَّعْ أَيُّهَـا المَاءُ فِى مَكَان وَاحد، وَلِهَـذَا سُمِّيَـتْ هَذه العَيْنُ بِئْـرَ زَمْـزَم، وَلا تَزَالُ حَـتَّى الآنَ يَشْـرَبُ مِنْهَـا حُـجَّـاجُ بَيت اللَّه الحرَام، وَيَأْخُـذُونَ مِنْهُ فِى آنِيَـتِهِمْ إِلَى بُلدَانِهِمْ فِى كُلِّ أَنْحَـاء الْعَالَمِ يَجعَلُونَهُ هَـدِيَّةً لأَحْبَابِهِمْ، تَبَـرُّكًا بِذلِـكَ الأَثَرِ مِنْ أَبِـى الْعَـــرَبِ إِسمَاعِيلَ عَلَيْه السَّلامُ، وَلأَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» أَىْ إِذَا شَـرِبَهُ الإِنْسَـان بِنِيَّـة طَلب الشِّفَاء مِنَ اللَّه تَعَـالَى شَفَاهُ اللَّهُ، أَوْ بِنِيَّةِ طَلَب الْعِـلْمِ وَزِيَادَةِ الهِدَايَةِ أَنَالَهُ اللَّهُ مَطْلُوبَهُ.



شَـربتْ هَاجَرُ، وَسَـقَتْ طِفْلَهَـا، وَسَـمِعَت الملَكَ يَقُـولُ لَهَـا: لا تَخَافِى الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتًا لِلَّه يَبْنِيـه هَذَا الْغُـلامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ.

وَمَـرَّتْ قَافِلَةٌ مِنْ قَـبِـيلَةٍ تُسَمَّـى جُرْهُمًـا، فَنَزَلُوا بِالقُرْبِ مِنَ المكَانِ، فَرَأَوْا طَائِـرًا يُحَلِّقُ قَرِيبًا مِنَ الأَرْضِ،





فَـقَـالَ بَعْـضُـهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لا يَـكُونُ هُـنَـا إِلا إِذَا كَانَ فِى المكَانِ مَاءٌ.

وَيصِفُ المؤَرِّخُونَ مكانَ البَيْتِ، فيقُولُونَ أَنَّهُ كَانَ مُرتفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتيهِ السُّيولُ فتمرُّ عَنْ يَمينهِ وَشِمَالِهِ.

كَانتِ القَوافِلُ تَمرُّ مِنْ هَذَا المكَانِ يَركبُونَ الإبلَ الَّتِى تَأْكُلُ النَّوَى أَوِ الشَّعيرَ، فَتبْقَى فِى فَضَلاتِهَا بَعْضُ الحبُوبِ السَّلِيمةِ، تَقذفُهَا عَلَى الأَرْضِ فِى بَعْرِهَا، فَلَمَّا ظَهَرَ مَاءُ زَمْزَمَ، وَسَالَ حَوْلَ البِئْرِ، وَفَوْقَ الأَرْضِ مِنْ بَقَايَا مَا تَستَخْدِمُهُ هَاجَرُ، أَنْبتَ المَاءُ مِنْ تلكَ الحبُوبِ، وَذَلِكَ النَّوَى بَعْضَ النَّباتَاتِ وفُسيلاتِ النَّخْلِ الصِّغَارِ، وَبَدَأَتِ الطُّيُورُ تَحومُ حَوْلَ المكَانِ، تُرفرِفُ عَلَى المَاءِ وَالنَّبَاتِ، وكَانَتْ تِلكَ بِدايَةُ إِعْمَارِ المكَانِ، وَظُهورِ مَكَّةَ.

قَالَ أَشْرَفُ: وكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ، وَإِسمَاعِيلُ وَحِيدٌ فِى المكَانِ، ولَيْسَ هُنَاكَ فَتيَاتٌ لِيتزَوَّجَ إِحْدَاهُنَّ فَيكُونَ مِنْهُ النَّسْلُ الَّذِى يَعْمُرُ المكَانَ؟.

قَالَ أَبُو أَيمَنَ: كَانتِ الطُّيُورُ المحومَةُ عَلامَةً عَلَى أَنَّ فِى هَذَا المَكَانِ حَيَاةً لَمْ تكُنِ القَوافِلُ المارَّةُ تَدْرِى خبَرَهَا، وَمَرَّتْ قَافِلَةٌ مِنْ قَبِيلَةٍ تُسَمَّى جُرْهُمًا، فَنَزَلُوا بِالقُرْبِ مِنَ المكَانِ، فَرَأَوْا طَائِرًا يُحلِّقُ قَرِيبًا مِنَ الأَرْضِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لا يكُونُ هُنَا إِلا إِذَا كَانَ فِى المكَانِ مَاءٌ، ونَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ هَذَا الوَادِىَ لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ، يتَحسَّسُ المكَانَ، فَإِذَا بِهِ يَجِدُ هَاجَرَ وَوَلَدَهَا، وَبِجوارِهِمَا عَيْنٌ مِنَ المَاءِ العَذْبِ الَّتِى تَتَمنَّى أَىُّ قَبِيلَةٍ لَوِ امْتلكَتْ مِثلَهَا فِى هَذَا الوَادِى المجدِبِ، فَرجَعَ الرَّجُلُ إِليهِمْ وَأَخبَرَهُمْ بِمَا رأَى فَأَقْبَلُوا جمِيعًا إِلَى أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَطَلَبُوا مِنهَا أَنْ تَأْذَنَ لَهُمْ بِالنُّزُولِ بجوَارِهَا.

قَالَتْ لَهُمْ هَاجَرُ: عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعةِ، وَلكِنْ لا حَقَّ لَكُمْ فِى المَاءِ عِندَنَا. قَالُوا لَهَا: نَعَمْ.

وكَانتْ هَاجَـرُ تَعْنِى بِذَلِكَ أَنَّ هَذَا الماءَ نَبعَ مِنْ عِندِ اللَّهِ فـأَنقذَهَا هِىَ وَابنَـها مِنَ الضَّيَاعِ، وَمُقْتَـضَى الشُّكْرِ لِلَّهِ أَنْ يَبْقَى هَذَا المَاءُ مُشَاعًا بَيْنَ النَّاسِ، مُبَاحًـا لَهُمْ جَمِيعًا، لا حَقَّ لأَحد أَنْ يَحتكرَهُ لِنَفْسهِ، أَوْ يَمتلكَهُ، أَوْ يتحكَّمَ فِى شَأْنِه بِأَىِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ التَّحكُّمِ، وَهكذَا بَقِىَ هَذَا الماءُ إِلَى وَقْتِنَا هَذا مُباركًا فِيهِ مُبَاحًا لِكُلِّ المسْلِمِينَ.

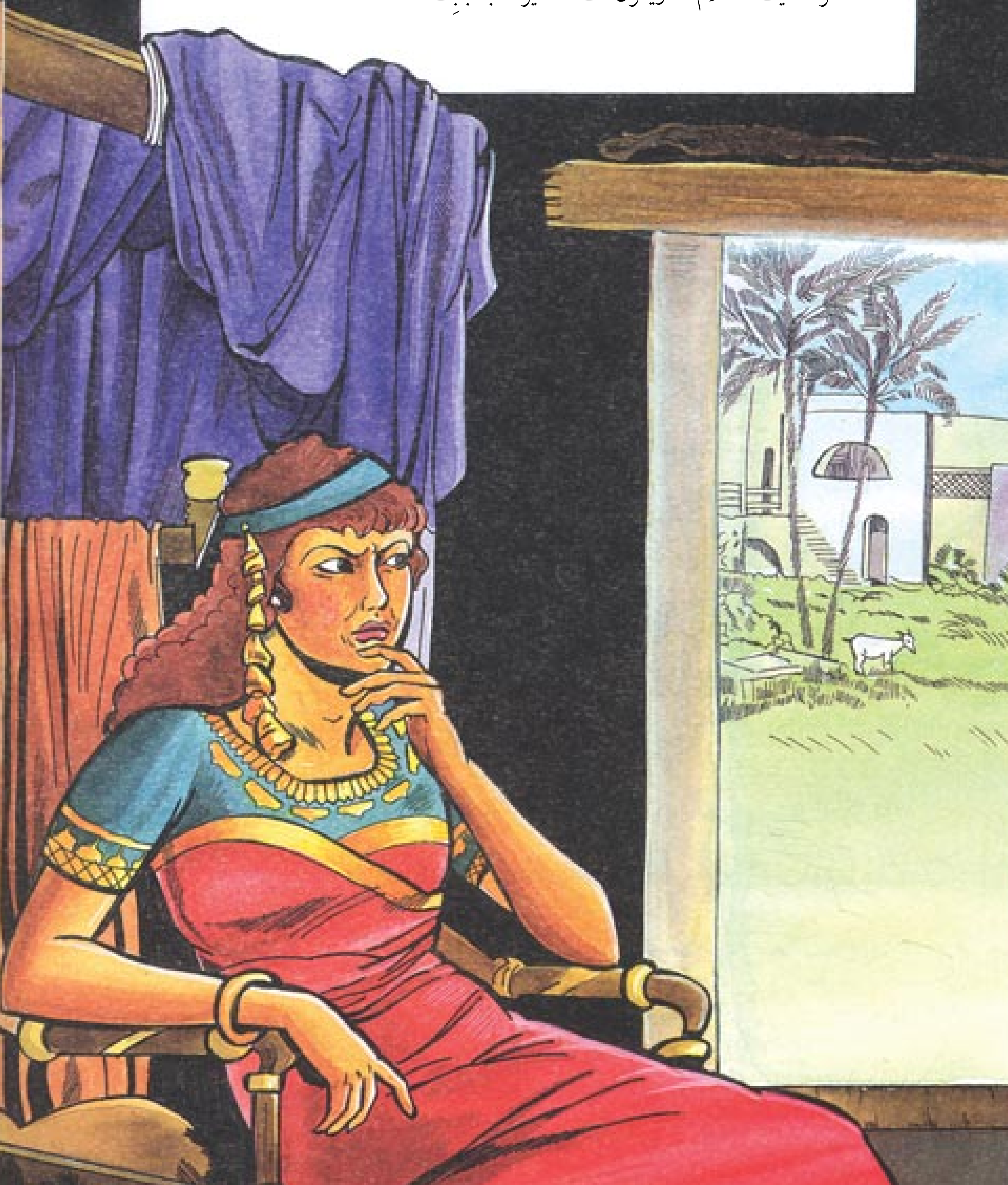
نَزَلَ هَؤُلاءِ الرِّجَـالُ بِجوَارِ هَاجَـرَ وَابْنِهَا، وَفـرِحَتْ بِهِمْ إِذْ أَرسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَـا مَنْ يُؤْنِسُ وَحْشَتَهَا هِىَ وَابْنَهَـا فِى ذَلِكَ المكَانِ الخَالِى مِنْ كُلِّ أَنِيسٍ، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَجاءُوهُمْ حَـتَّى أَصْبَحَ مِنْ حَولِ هَاجَـرَ وَابْنِهَا أَبْيَاتٌ كَثِيـرَةٌ مِنْ قَبِيلَةِ جُرْهُـمٍ: رِجَالِهَا وَنِسَائِهَا، وَشُبَّانِهَا وَفَتَيَاتِهَا، وَبَدَأَت مكَّةُ تُصْبِحُ قَرْيَةً عَامِرَةً، لِتكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ أُمَّ القُرَى، كَمَا يُسَمِّيهَا الْقُرآنُ الكَرِيمُ.

وَنَمَا إِسْمَـاعِيلُ، وَصَارَ شاباً قـوياً، تَعلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّـةَ مِنْ هَؤُلاءِ الْعَربِ الَّذِينَ جَاوَرُوهُ، حَتَّى صَارَ أَنْفَـسَهُمْ وَأَعجَبَهُمْ، وَعِندَمَا بَلَغَ مَبلَغَ الشَّـبابِ زَوَّجُوهُ امرأَةً مِنْهُمْ . . وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ بَعْدَ زَوَاجِهِ بِقَلِيلٍ.

قَالَتْ إِيمَانُ: وَفِى هَذِهِ المدَّةِ الطَّوِيلَةِ لَمْ يُفكِّرْ سَيِّدُنَا إِبرَاهِيمُ عَلِيهِ السَّلامُ، أَنْ يَزُورَ زَوْجَتَهُ وَوَلَدَهَا اللَّذَيْنِ تَركَـهُمَا فِى هَذِهِ الصَّحْرَاءِ الجرْدَاءِ لا أَنيسَ لَهُـمَا وَلا رَفِيقَ، وَلا طَعَامَ وَلا شَرَابَ؟.

قَالَ أَبُو أَيْمَنَ: صَـبْرًا يَا بُنَيَّتِى، فَقَدْ كَانَ إِبرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ كَثِيرَ الزِّيَـارَةِ لِولَدِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَكِــنْ يَبْدُو أَنَّ أَوَّلَ زِيـارَةٍ لَهُ كَانَـتْ بَعْدَ وَفَـاةِ هَاجَرَ، فَالمؤَرخُونَ يَقُولُونَ

قَالَ إِسَماعيلُ : فَهلْ أوصَاكَ بِشىءٍ ؟ قَالَتْ : نَعم، أمرَنِى أنْ
أقرأَ عَلَيْكَ السَلامَ ، ويقولُ لَكَ : غَيرِّ عَتَبَةَ بَابِكَ.



أَنَّ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيهِ السَّلامُ- جَاءَ لِيتعرَّفَ عَلَى خَبرِ ابْنِه إِسمَاعِيلَ، فَوَجَدَ امْرأَتَهُ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرجَ يَبْتَغِى لَنَا، أَىْ خَرجَ يَسْعَى عَلَى رِزْقِنَا، وَيَأْتِى لَنَا بِطَعَامٍ، فَسَأَلَهَا إِبْرَاهِيمُ- عَلَيهِ السَّلامُ- عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحنُ بِشَرٍّ، نَحنُ فِى ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ ضِيقَ المَعِيشَةِ، فَقَالَ لَهَا إِبراهِيمُ- عَلَيهِ السَّلامُ- إِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرئِى عَلَيهِ السَّلامَ وَقُولِى لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ.

وجَاءَ إِسمَاعِيلُ فَشَمَّ رَائِحَةَ أَبِيهِ فِى المَكَانِ، فَسَأَلَ زَوْجَتَهُ: هَل جَاءَكُم مِنْ أَحَدٍ؟ فَقَالَتْ لَهُ: نَعمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ، مِنْ صِفَتِه كَذَا وكَذَا، وَوَصَفَتْ لَهُ أَبَاهُ وَالهَيْئَةَ الَّتِى كَانَ عَلَيْهَا، وَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُه أَنَّكَ خَرَجْتَ تَبْتَغِى لَنَا، وَسَأَلَنِى كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّنَا فِى جَهْدٍ وَشِدَّةٍ.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَىءٍ؟. قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِى أَنْ أَقرأَ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ لَكَ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ: ذَاكِ أَبِى، وَقَدْ أَمَرَنِى أَنْ أُفَارِقَكِ فَالْحَقِى بِأَهْلِكِ.

وَطَلَّقَ إِسمَاعِيلُ زَوْجَتَهُ تِلْكَ، وتزوَّجَ امْرأَةً أُخْرَى مِنْ جُرْهُمٍ أَيْضًا. وَغَابَ إِبْرَاهِيمُ عَنْهمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَغِيبَ، ثُمَّ جَاءَهُمْ بَعدَ مُدَّةٍ، فَلَمْ يَجِدْ إِسمَاعِيلَ فِى هَذِهِ المرَّةِ أَيْضًا، فَسَأَلَ عَنْهُ زَوْجَتَهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِى لَنَا، قَالَ لَهَا: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، قَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وذَكَرتْهُ بِالحمدِ وَالشُّكْرِ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ وَعَيْشٍ رَغِيدٍ يَرْضَى بِهِ المؤْمِنُونَ مَا دَامَ كَافِيًا لِحَيَاتِهِمْ، فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ- عَلَيهِ السَّلامُ- مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالتِ: اللَّحمُ. قَالَ: وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِى اللَّحمِ والمَاءِ.

ثُمَّ قَـالَ لَهَا: فَـإِذَا جاءَ زَوْجُكِ فَـاقْرَئِى عَلَيْـهِ السَّلامَ، وَقُولِى لَهُ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَلَمَّا جاءَ إِسْمَـاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَـسَنُ الْهَيْئَةِ - وَأَثْنَتْ عَلَيْـهِ بِمَـا يَلِيقُ بِهِ، وَمَـا يَلِيقُ بِهَـا هِىَ أَيْضًـا كَـإِنسَانَةٍ مُـؤمنَةٍ تَعْـرِفُ لِلنَّاسِ أَقْـدَارَهُمْ - ثُمَّ قَـالَتْ: وَقَـدْ سَـأَلَنِى عَنْكَ، فَـأَخْـبـرْتُهُ أَنَّكَ خَرَجْـتَ تَبْتَـغِى لَنَا، وَسَأَلَنِى كَـيْفَ عَيْـشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّنَا بِخيرِ حَالٍ.

قَالَ إِسْماعِيلُ: فَهلْ أَوْصَاكِ بِشَىْءٍ؟.

قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرأُ عَـلَيكَ السَّلامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتبَةَ بَابِكَ.

قَالَ إِسْمَـاعِيلُ: ذَلِكِ أَبِى، وَأَنْتِ العَتَبَةُ، وَقَـدْ أَمَرَنِى أَنْ أَحْتَفِظَ بِكِ وَأُحَافِظَ عَلَيْكِ.



ثُمَّ غَابَ إبرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- مَا شَاءَ الـلَّهُ أَنْ يَغيبَ، ثُمَّ جَاءَ بَعدَ ذَلكَ فَوجَدَ إسْمَاعِـيلَ- عَليه السَّلامُ- جَالِسًا فِى ظِـلِّ شَجَرَة قَرِيبَة مِنْ زَمْـزَمَ، وَهُوَ يَبْرى نَبْلاً لَهُ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَتَعانَقَا، وَصَنَعَا مَا يَصْنَعُ الوَالِدُ الرَّءُوفُ بِولَدِه، وَمَا يَصْنَعُ الابنُ البَارُّ بِوالِدِه.

وَهُنَا يَأْتِى مَوْقِفٌ مُهِمٌّ مِنْ مَواقِفِ حَيَاةِ إِسْماعِيل- عَلَيْهِ السَّلامُ.

قَالَ إبرَاهِيمُ لابنِهِ: يَا إِسْماعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرنِى بِأَمْرٍ.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ: فَاصْنَعْ مَا أمركَ بِهِ رَبُّكَ.

قَالَ إِبراهِيمُ: وَتُعِينُنِى؟

قَالَ إِسْمَاعِيلُ: وَأُعِينُكَ.

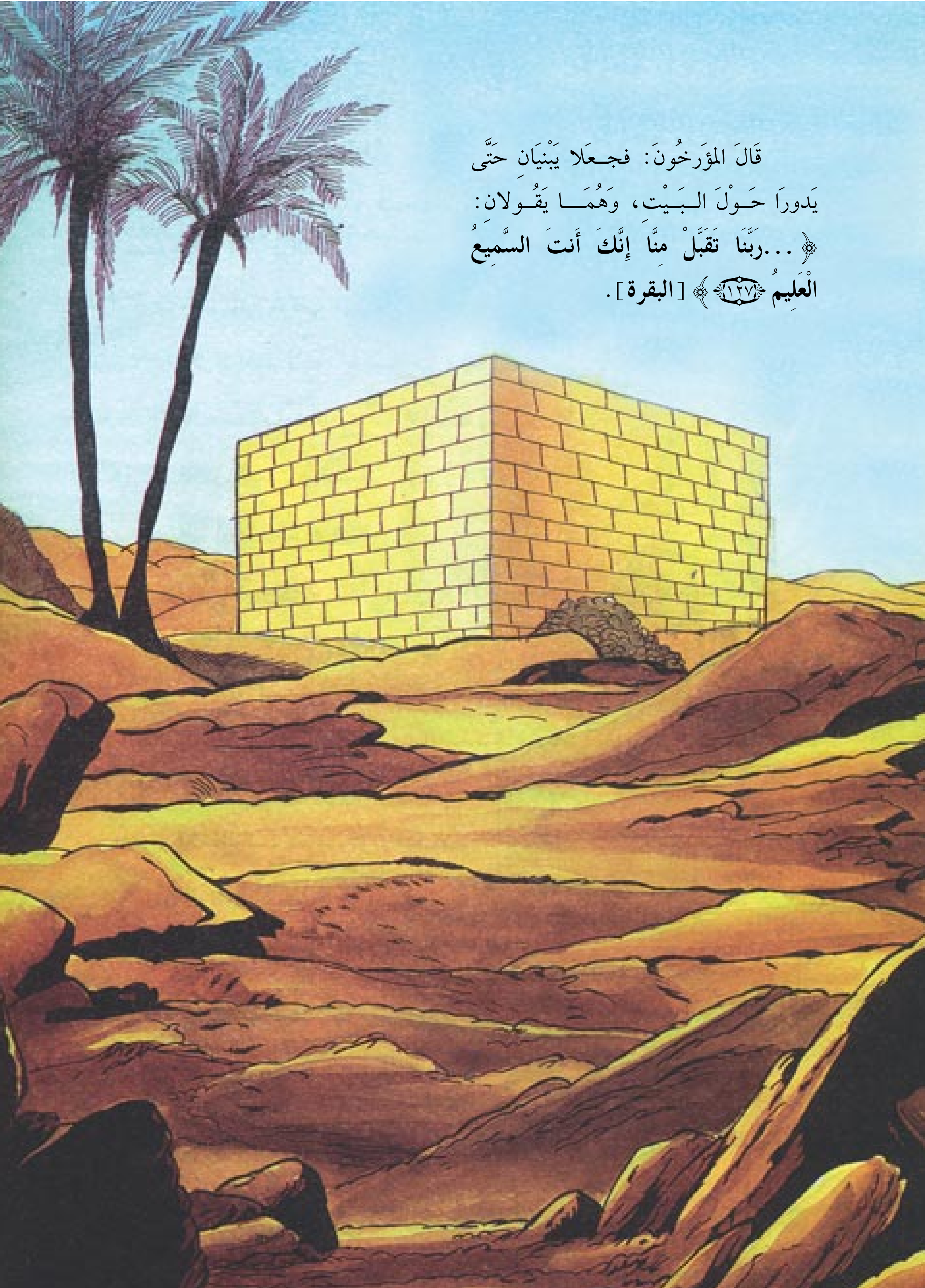
وَهُنَا سَأَلَتْ إِيمَانُ: لَعَلَّ ذَلكَ هُوَ الأَمْرُ بِذَبْحِ إِسمَاعِيلَ كَما نعرِفُ مِن القِصَّةِ وكَمَا ذَكرَهَا الخَطِيبُ اليَوْمَ فِى صَلاةِ العِيدِ.

قَالَ أَبُو أَيْمَن: لا يَا بُنَيَّتِى، قِـصَّةُ الذَّبْحِ هَذه سَيَطُولُ بِنَا الحدِيثُ فِيـهَا، وَسوفَ يَكُونُ لَهَا جَلْسَـةٌ خَاصَّةٌ بِهَـا سَنَذْكُرُهَا، وَنَحْنُ نَسْـتعرِضُ آيَاتِ القُـرآنِ الْكرِيمِ حَسَبَ تَرْتِيبِهَا.

قَالَ أَشْرَفُ: فَمَاذَا يَكُونُ هَذَا الأَمْرُ يَا تُرَى؟

قَالَ الوَالِدُ: هُوَ كَمَا قَالَ إِبرَاهِيمُ لابنِهِ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِى أَنْ أَبْنِى هَا هُنَا بَيْتًا. وَأَشَارَ إِلَى مكَانٍ مُرتَفِعٍ قَرِيبٍ مِنهمَا.

فَوافَقَ إِسمَـاعِيلُ عَلَى مُسَاعَدة أَبِيـه فِى بنَاء الكَعْبَة، وَقد عرَفـتُمْ هَذه القِصَّةَ فِى جَلْسة سَـابِقَة، إِذْ رَفَعَـا الْقواعدَ مِنَ الْبَـيْت، وَكَانَ إسمـاعيلُ يَأْتِى بالحـجَارة وَإبرَاهِيمُ يَبْنِى، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البنَاءُ، جَاءَ إِبرَاهِيمُ بالحَجرِ الأَسْود، فَوضعَهُ فِى مكَانه، فَقَامَ عَلَيه وَهُوَ يَبْنِى، وَإِسْـماعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحـجَارَةَ، وَهُمَـا يَقُولانِ ﴿ ... **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾** ﴾ [**البقرة**].


قَالَ المؤَرخُونَ: فجـعَلا يَبْنيَانِ حَتَّى
يَدوراَ حَـوْلَ الـبَـيْتِ، وَهُمَــا يَقُـولان:
﴿ ...رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ (١٢٧) ﴾ [البقرة].

وَعاشَ إِسْماعِـيلُ مَعَ زَوْجَته الثَّانية هَذه، وَأَنْجب مِنْهَا اثْـنَى عَشَرَ وَلَدًا ذَكرًا. ثُمَّ كَثُرَ نَسْلُ إِسْماعِـيلَ، وَعمَّروا مكَّةَ فِيمَا بَعْدُ، وَلكِنْ بَعْـدَ كَثِيرٍ مِنَ الأَحْداث وَالأَهْوالِ، إِذْ قَامَ الجَـرَاهِمَةُ أَخْـوالُ إِسْمـاعِيلَ- عَليه الـسَّلامُ- بِالغَلَبَـةِ عَلَى أَمْرِ مَكَّةَ وَالكَعْـبَةِ، وَأَحْدَثُوا الكَثِيرَ مِنَ التَّـغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ لِدينِ اللَّهِ. وَلكِنْ بِمرُورِ الأَيَّامِ كَثُـرَ نَسْلُ إِسْمَاعِيلَ وَزَادَ عَدَدُهُمْ، وَصَارُوا ذَوِى قُـوَّةٍ ومَنعَةٍ، فَغَلَبُوا عَلَى أَخْوالِهِمُ الجرَاهِمَـةِ، وَأَخرجُوهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَتَولَّوْا هُمْ الأَمْرَ فِيهَا.

وَانتقَلتْ ولايَةُ بَيْتِ اللَّهِ الحرَامِ إِلَى أَهْلِهَا وَاسْتَقَرَّ الأَمْرُ مِنْ جَدِيدٍ.

قَالَ أَيْمَنُ: وَلكِنَّنَا لَمْ نَقرَأْ فِى القُـرآنِ شَيْئًا عَنْ قَوْمِ إِسْمَاعِـيلَ، وَلا عَنِ الشَّرِيعَةِ الَّتِى جَاءَ بِهَا.

قَالَ الوَالِدُ: لَقَدْ كَانَ إِسْـمَاعِيلُ رسُولا نَبِيا كَمَا قَـالَ لَنَا القُرْآنُ الكرِيمُ، وَقَدْ قَالَ المفسِّرُونَ أَنَّهُ كَانَ مُرسَلا إِلَى قَومِـه بَنِى جُرْهُمٍ الَّذِينَ هُمْ أَخْوالُهُ، وَإِلَى مَنْ يُقِيمُ مَعَهُمْ فِى مَكَّةَ، وَإِلَى بَعْضِ قَبَائِلِ اليَمَنِ، وَمِمَّا لا شَـكَّ فِيهِ أَنَّ رسَالَةَ النَّبِيِّ فِى مكَان تَتوجَّهُ إِلَى مَنْ يُقِـيمُـونَ فِى هَذَا المكَانِ، وَرسَالَـةُ إِسْمَـاعِيلَ- عَلَيـه السَّلامُ- لا تخـرُجُ عَنْ مَضْمُـونِ رِسَالَةِ أَبِيه إِبْراهِيمَ، وَلا رِسَالاتِ مَنْ سَـبَقَهُ، بَلْ وَمَنْ أَتَى بَعدَهُ مِـنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمرسَلِينَ، فَكُلُّهُمْ، وَمِنهُمْ إِسْماعِيلُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى الإِيمَانِ بِاليومِ الآخِـرِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حِسَـابٍ وَثَوابٍ وَعِقَابٍ، إِذْ كُلُّ الرِّسَالاتِ تَأْتِى مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ، وَتَدْعُو دَعْوَةً وَاحِدَةً، هِىَ أَولا وَأَخيرًا، إِسْلامُ الوَجْهِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَلهَـذَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَـالَى: ﴿ **إِنَّ الدِّين عندَ اللَّه الإِسْلامُ ...** ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران] بمعْنَى أَنَّ كُلَّ الأَنْبيـاءِ الَّذِينَ أَرْسَلهمُ اللَّهُ تَعَالَى لِيبلِّـغُوا رِسَالتَهُ كَـانَتْ دَعوَتُهمْ جَمِيـعًا المُوحَى بِهَا إِلَيهِمْ، هِىَ وُجوبُ إِسْلامِ الوَجْهِ لِلَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَيقُولُ المفسِّرونَ: إنَّ إسمَاعِيلَ- عَليهِ السَّــلامُ- لَمْ يكنْ صَاحِبَ شَرِيعَةٍ مُستقلَّةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى شَــرِيعَةِ أَبِيه إبرَاهيمَ- عَليهِ السَّلامُ- وَقَدْ أُرسِلَ إِلَى قَــبِيلةِ جُرهمٍ الَّذِينَ عَاشَ بَيْنهم، وَلِهَذَا وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ رسُولٌ.

وعَاشَ إِسمَاعِيلُ مِائةً وَسبعَةً وَثلاثِينَ سَنَةً، وَمهمَا طَالَ العُمرُ فَلابُدَّ لَهُ مِنْ نِهَايةٍ.

وَبعدَ ذَلكَ العُــمرِ الطَّوِيلِ الحافلِ بالأَحــدَاثِ والموَاقِفِ الإِيمَانيَّةِ تُوُفِّيَ إِسْمَــاعِيلُ- عليْهِ السَّلامُ- وَدُفِنَ بِالحجرِ عِنْدَ قَبْرِ أُمِّهِ هَاجَرَ.

وَعَــاشَتْ ذِكْــراهُ خَالدَةً فِى قُــلوبِ المؤمنِينَ، تُتْلَى فِى القُــرآنِ الْكَرِيمِ، وَيرويهَــا الوعَّاظُ وَالخطَبَاءُ عَلَى مَرِّ الأَجْيالِ لتكُونَ أُسوَةً فِي الصَّبْرِ عَلَى الشِّدَّةِ وَالموَاقفِ الصَّعْبَةِ، وَأُسوَةً فِى الجهادِ والفدَاءِ وَالامــتثَالِ لأَمْرِ اللَّهِ سُبحانَهُ وتَعَالَى، ونِبــرَاسًا يَهتَدِى بِضَوْئِه السَّائِرونَ فِى الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ.

وَاقْرءُوا يَا أَبْنَائِى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾ [مريم]

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

وَإِلَى اللِّقَاءِ فِى القِصَّةِ التَّالِيةِ (٨٢) وعُنْوانُهَا:

(وَاذْكُرْ فِى الكِتَابِ إِدْرِيس)

الأَسْئِلَةُ

١- مَا الفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَهَلْ تَعرِفُ أَنبِيَاءَ لَيسُوا مُرسَلِينَ، اذْكُرْ ثَلاثَةَ أَسماءٍ مِمَّنْ تَعرِفُهُمْ.

٢- هَلْ يَجوزُ للنِّساءِ حُضورُ صَلاةِ العِيدِ، حَتَّى ولَوْ كَانتْ إِحدَاهُنَّ صَاحبةَ عُذْرٍ يَمْنَعُها مِنَ الصَّلاةِ، وَأَيْنَ يمكنُ أَنْ تَجلسَ؟

٣- لِمَاذَا وَصفَ اللَّهُ إِسْماعيلَ- عَليه السَّلامُ- بِأَنَّهُ كَانَ صَادقَ الوَعْدِ، مَعَ أَنَّ صِدْقَ الوَعْدِ مَطلُوبٌ مِن البَشَرِ جَمِيعًا؟ وَمَا هُوَ الوَعْدُ الَّذِى كَانَ صِدْقُهُ فِيهِ سَبَبًا لِذِكْرِهِ فِى القُرآنِ الكَرِيمِ؟

٤- مَاذَا فَعلتْ هَاجَرُ عِندمَا نَفَدَ مِنْهَا المَاءُ والطَّعامُ؟ وَكَيْفَ وَجدَتِ الأُنْسَ بَعدَ الوَحْشَةِ، والهُدُوءَ بعدَ القَلَقِ والانزعاجِ؟

٥- مَا اسْمُ القَبِيلةِ الَّتِى جَاءَتْ إِلَى هَاجَرَ، وَعَاشَتْ بِجوَارِهَا، وَمَا سَببُ مَجِيئِهَا؟

٦- لإِسمَاعيلَ- عَليه السَّلامُ- مَواقفُ إِيمَانِيَّةٌ خَالِدَةٌ، مُساعدَةً لأَبِيهِ وَطَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، اذْكُرْ مَا تعرِفُهُ عَنْ هَذِهِ المواقِفِ.

٧- مِنَ المسْتَحبِّ فِى الدِّين أَنْ يختارَ الرَّجلُ زوجةً صالحةً تُعينهُ عَلى مَحَاسِنِ الأَخْلاقِ ومكارمِ الأَفْعَالِ، اذكرْ مَوْقفًا فِى القِصَّةِ يَدُلُّ عَلَى ذَلكَ؟

٨- مَا هِىَ شَرِيعَةُ إِسمَاعِيلَ؟ وَمَنْ هُمْ قَوْمُهُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ، وَأَيْنَ دُفِنَ بَعْدَ وَفَاتِهِ؟

دَرسُ النَّحوِ

ظَرفُ المكَانِ

ذَكـرنَا فى الدَّرسِ السَّـابقِ ظَرْفَ الزَّمَـان، وَنذكُـرُ فِى هَذَا الدَّرسِ ظَرفَ المكَانِ، فَنقُولُ أَنَّهُ مَا يدُلُّ عَلَى المكَانِ الَّذِى وَقَعَ فِيهِ الفِعْلُ . . بِتَقدِيرِ حَرْفِ جَرٍّ هُوَ «فى».

تَقُولُ أَحْمـدُ يَقِفُ خَلْفَ خَالد، وَخالدٌ يَقِفُ أَمَامَ إِبراَهِيمَ، فـكلمةُ خَلْفَ وأَمامَ هِىَ ظَرْفُ مكَانٍ، وَمِثْلُهَا وَرَاءَ وَقُدامَ . . إِلَى آخِرِهِ.

وَاسْمُ المكَانِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَوَّلا: المختَـصُّ، وَهُوَ مَا لَهُ صُـورَةٌ وَحُدودٌ مَحـصُورَةٌ، مِـثْلُ الدَّارِ والمسـجِدِ، والبيْتِ وَالحدِيقَةِ.

وَهَذَا القِسْمُ لا يُنْصَبُ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفُ مكَان، بَلْ يُعْرَبُ إِعـرَابَ الأَسْمَاء العَادِيَّة، فَتقُولُ: إِنَّ لِى حَـدِيقَةً جَمِيلةً، فَتَنْصبُ لأَنَّهَا اسْمُ إِنَّ، وَقَدْ تَأَخَّـر عَنْ خَبرِهَا، وَتَقُولُ هَذه حَدِيقةٌ جَمِيلةٌ، فَترْفَعُ لأَنَّها خَبْرٌ، وَتَقُولُ جلَسْتُ سَاعَةً فِى الحَدِيقَةِ، فَهِىَ مَجرُورَةٌ بحَرْفِ الجرِّ فِى.

ثَانيا: المبْهَمُ، وَهْوَ مَا لَيْسَ لَهُ صُورَةٌ وَحُدودٌ مَـرسُومَةٌ مثْلَ كَلمَات: أَمَامَ وخَلْفَ وَقُدامَ وورَاءَ، وفوْقَ وتَحْتَ، وعِنْدَ، . . إِلَى آخِرِ أَىِّ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى المكَانِ الَّذِى وَقَعَ فِيهِ الفِعْلُ.

وَفِى حَالَةِ إِعْرَابِهِ نَقُولُ: هُوَ اسْمٌ مَنصُوبٌ لأَنَّهُ ظَرْفُ مكانٍ.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

1- الفاتحة أم الكتاب
2- خليفة الله
3- يا بنى إسرائيل
4- بقرة بنى إسرائيل
5- هاروت وماروت
6- بيت الله
7- قبلة المسلمين
8- وقاتلوا فى سبيل الله
9- طالوت وجالوت
10- قدرة الله
11- امرأة عمران
12- وإذ قالت الملائكة يا مريم
13- ابنة عمران
14- عيسى فى السماء
15- نصر الله
16- اختبار الله
17- حياة الشهداء
18- صلاة الحرب
19- الأرض المقدسة
20- قابيل وهابيل
21- مائدة من السماء
22- هل يستوى الأعمى والبصير
23- إبراهيم يبحث عن الله
24- بنو آدم والشيطان
25- أصحاب الجنة وأصحاب النار
26- نوح عليه السلام وقومه
27- هود عليه السلام وقومه
28- صالح عليه السلام وقومه
29- لوط عليه السلام وقومه
30- شعيب عليه السلام وقومه
31- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
32- قوم موسى وقوم فرعون
33- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
34- بنو إسرائيل عبدوا العجل
35- سفهاء بنى إسرائيل
36- موسى عليه السلام والأسباط
37- ضحية الشيطان
38- دفاع عن الرسول
39- وعد الله
40- توزيع الغنائم
41- قوة الصابرين
42- أسرى بدر عتاب وفداء
43- يوم الحج الأكبر.
44- يوم حنين.
45- عزير آية الله للناس.
46- الشهور العربية والأشهر الحرم.
47- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
48- لا تحزن إن الله معنا.
49- المنافقون فى المدينة.
50- خذ من أموالهم صدقة.
51- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
52- المسلمون فى ساعة العسرة.
53- الثلاثة الذين خُلّفوا.
54- والله يعصمك من الناس.
55- القرآن يتحدى.
56- وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر.
57- يا بنى اركب معنا.
58- يوسف عليه السلام فى غيابة الجب.
59- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
60- سر قميص يوسف عليه السلام.
61- لقاء الأحبة.
62- ثم استوى على العرش.
63- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
64- زمزم نبع الأنبياء.
65- مقام إبراهيم مصلًى.
66- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
67- أصحاب الأيكة.
68- فاصدع بما تؤمر.
69- ويخلق ما لا تعلمون.
70- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
71- رياحين البيوت شقائق الرجال.
72- التى نقضت غزلها.
73- سبحان الذى أسرى بعبده.
74- فتية آمنوا بربهم.
75- صاحب الجنتين.
76- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
77- ذو القرنين.
78- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
79- واذكر فى الكتاب مريم.
80- ذلك عيسى ابن مريم.
81- واذكر فى الكتاب إسماعيل.
82- واذكر فى الكتاب إدريس.
83- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
84- الوادى المقدس طوى.
85- وجعلنا من الماء كل شىء حى.
86- النار بردا وسلاما.
87- حكمة سليمان عليه السلام
88- وأيوب إذ نادى ربه.
89- يونس عليه السلام فى بطن الحوت.
90- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
91- موسى عليه السلام القوى الأمين.
92- قارون وعاقبة المفسدين
93- زيد... هو ابن حارثة.
94- الأحزاب وجنود الله الخفية.
95- جنات سبأ وجزاء الكفور.
96- وفديناه بذبح عظيم.
97- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
98- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
99- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
100- للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث